الفصل التاسع

مكانة واستعمالات اللغات العاملة في لبنان

ماري غالب(*) جان جوزيف(**)

ملخص

تعنى هذه الورقة بمسألة فهم الهوية اللغوية للشباب المثقف في لبنان وتحاول أن تدرس مدى تأثير عاملي الدين واللغة الأجنبية الأولى على إدراك المشاركين لمكانة اللغات الإنكليزية والفرنسية والعربية على المستويين العالمي والمحلي. كذلك تتطرق الدراسة الى تعريف ميول المشاركين للقراءة باللغات الثلاث ونظرتهم لمسألة التغيير الرمزي Code Switching عند التحدث بالعربية.

شارك في الدراسة ٢٨١ طالبا وطالبة تم اختيارهم عشوائيا من ثلاث جامعات. بعد تحليل إجابات المشاركين على استبيان مؤلف من ثلاثة أقسام، تبين أن معظم المشاركين هم ثلاثيو اللغة وأنهم متفقون على أن الإنكليزية هي اللغة الأهم عالميا ومحليا، رغم نظرة الطلاب المسيحيين المميزة للغة الفرنسية. كذلك أكدت الدراسة إهتمام الطلاب اللبنانيين باللغات الأجنبية وعدم اعتبار التغيير الرمزي عند التحدث بالعربية دليلا على التكبر.

مقدمة

تشكل مسألة فهم الهوية إحدى أهم السمات التي تطبع مرحلة ما بعد الحداثة. فكل واحد منا له هويات متعددة تشكل مجتمعة أساس الهوية الشخصية. ويمكن تصنيف هذه

(*) قسم اللغة الانكليزية وآدابها، الجامعة الأميركية في بيروت.
(**) قسم الألسنية، جامعة ادنبرة باسكوتلندا.

الهويات الهوية الوطنية، والمناطقية، والإجتماعية، والدينية. والهوية اللغوية يمكن أن تصنف كهوية مستقلة بحد ذاتها رغم أنها تندرج في إطار التعابير العرقية. ولقد تم التوافق بين علماء الأنثروبولوجيا[١] والعلوم السياسية[٢] أن اللغة تحتل مكانا بارزا في بناء الهوية سواء على المستوى الفردي أو الوطني.

وهكذا فإن جوهر الهوية الوطنية يتشكل من القواسم المشتركة بين افراد الشعب. وغالبا ما تكون اللغة إحدى هذه القواسم بالإضافة الى التاريخ المشترك. ويعرف أندرسون الهوية الوطنية على أنها «جماعة سياسة متخيلة» حيث يوضح:

«إنها متخيلة لأن أعضاء حتى أصغر أمة من العالم لن يعرفوا أفراد أمتهم ولن يلتقوا بهم أو يسمعوا عنهم. ورغم ذلك يوجد في عقل كل منهم مفهوم الجماعة التي ينتمون إليها» (ص ٦). وقد أشار رينان[٣] الى هذا التخيل عندما كتب أن جوهر الأمة يتشكل من الأشياء المشتركة وأيضا الأشياء المنسية. وهذا ما أشار إليه غلنر[٤] عندما ادعى أن الوطنية هي ليست نهوض الأمم من سباتها بل هي اختراع الأمم حيث لا توجد في الأصل. ولكي نفهم الدور الكبير للغة في تكوين الهوية يجب أن نأخذ بالاعتبار قول رينان أن قسما من جوهر الأمة يتألف من الأشياء المشتركة بين الشعب وخصوصاً اللغة وبعض التاريخ المشترك الذي ربما يجب أن ينسى لكي تتجدد الشخصية الوطنية. ويشكل الاعتقاد أن الأمة لم تخترع بعد أحد أهم الأسباب لإختراع أمة من الأمم.

إن أهمية الهوية تكمن في أنها تجيب عن السؤال المهم عمَّن نحن فعلا؟ وإن اختيار لغة أو أكثر لا يكون مسألة تنتج عن أسباب عملية وظيفية مجردة. بل إنها مسألة مرتبطة ارتباطا وثيقا بجوهر حياة الذين يتكلمون هذه اللغة أو تلك وبمجتمعاتهم كبيرة كانت أو صغيرة.

---

(١) Clifford, James: **The Predicament of Culture: Twentieth-Century Ethnography, Literature, and Art**, Cambridge, Mass., Harvard Univ. Press, 1988.

(٢) Anderson, Benedict: **Imagined Communities: Reflections on the Origin and Spread of Nationalism**, Rev. ed, London; New York, Verso, 1991.

(٣) Renan, Ernest: "Qu'est-ce qu'une nation?", dans: **œuvres complètes**, éd. par Henriette Psichari, Vol. 1, Paris, Calmann - Lévy, 1947, 887 - 906.

(٤) Gellner, Ernest : **Thought and Change**, London, Weidenfield and Nicolson, 1964.

وقد اهتم الباحثون بمسألة الهوية نظراً الى تفتت الهويات في العصر الحديث. فالتطورات السريعة في مجال الاتصالات والتعارف الدولي وازدياد فرص السفر شكلت مجتمعة ثقافة تتجاوز الحدود الوطنية. وقد كان ذلك في مصلحة بعض اللغات العالمية التي تتجاوز الطابع الوطني. وهكذا فقد ترك هذا الواقع الجديد أثرا«كبيرا» على الهوية في جميع أنحاء العالم خلال العقد الأخير من القرن العشرين. وتأثرت بشكل خاص هوية الأجيال الشابة حيث أن شبكة الانترنيت وغيرها من وسائل الإتصالات الحديثة قد ساهمت بانتشار اللغة الإنكليزية كلغة عالمية.

تاريخ لبنان اللغوي

يصعب التكهن حول تاريخ لبنان اللغوي خلال الـ ١،٣٠٠ سنة المنصرمة. ولكن يمكن القول أنه منذ عام ٣٤٠م وحتى اليوم أصبحت العربية اللغة الرئيسية في المدن والسهول اللبنانية بينما بقيت الآرامية مستعملة في بعض الأماكن في الجبال حيث تحصن الموارنة في شمال لبنان. ويقول عبو وشركاؤه(٥) أن العربية كانت محكية ومفهومة من قبل الموارنة نتيجة للحاجة الماسة إليها. وذلك لأن أعلى نقطة في الجبل لم تبق منعزلة عن الساحل. كذلك فإن احتكاك الموارنة مع جيرانهم المسلمين ساعد على استعمالهم للغة العربية. ولكن رغم ذلك بقيت الآرامية مستعملة كلغة حية حتى القرن الثامن عشر على الأقل.

بالإضافة إلى ذلك فقد انتشرت الثنائية العربية ـ التركية خلال الحكمين السلجوقي والعثماني وذلك بسبب الخدمة العسكرية الإجبارية. ولكن لم يحاول الأتراك فرض اللغة التركية بدل العربية لأسباب دينية كون اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم المقدسة.

وفي منتصف القرن التاسع عشر انهارت صناعة الحرير التي كانت تشكل المورد

(٥) Abou, Sélim, Choghig Kasparian and Katia Haddad: **Anatomie de la francophonie libanaise**, Beyrouth, Université St. Joseph, 1996.

الرئيسي لسكان الجبل مما اضطر الموارنة للنزول الى المدن الساحلية والسهول. في هذا الوقت اقتصر استعمال اللغة الآرامية على الأسباب الدينية حيث أخذ المسيحيون الذين تسنت لهم الدراسة يدرسون باللغة الإيطالية أو الفرنسية ومن الممكن بالإنكليزية او بالعربية. فلم تستعمل الآرامية كلغة تعليم ولكن كانت لغة دينية للموارنة استبدلوا بها العربية كلغة تواصل بالتدريج.

ويجب أن لا ننسى أنه خلال تاريخ لبنان الحديث كان الامتياز اللغوي Linguistic Prestige يرتكز بشكل مباشر على المعرفة العلمية وليس على الخيار . وهكذا بالرغم من أن الآرامية كانت لغة السيد المسيح فلم تكن لغة ذات حضارة علمية. بينما كانت العربية لغة حضارة مما جلب لها احترام المسيحيين الذين افتخروا بمعرفتهم لها فلم يعتبروها لغة المسلمين فقط. بل على العكس تماما فقد انتشر الأدب المسيحي بهذه اللغة منذ القدم.

وعندما تأسست دولة لبنان الحديث عام ١٩٢٠ وضعت تحت الانتداب الفرنسي. فأعلنت فرنسا اللغة الفرنسية كلغة تعليم. في هذا الوقت جاء الأرمن الى لبنان مما جعل الأرمنية لغة واسعة الانتشار. ولكن بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية استقل لبنان عن فرنسا وأعلنت العربيةُ لغة رسمية للبلاد وبالرغم من ذلك بقيت الفرنسيةُ تتمتع بانتشار واسع كلغة حضارة وتعليم خصوصاً في المجتمع المسيحي.

على أي حال، لا يوجد الكثير من التوثيق حول الوضع اللغوي في لبنان الحديث. ولكن يوجد دراسة أجريت عام ١٩٥٤.

بالرغم من أن المعلومات الواردة في الجدول أعلاه غير شاملة فإنه من الممكن استخلاص الاستنتاجات التالية:

- إن حوالي نصف الرجال وحوالي ثلث النساء من العينة التي تمت دراستها كانوا ثنائيي اللغة بالعربية والفرنسية.

- إن حوالي ٢١٪ (١,٣١٠ من أصل ٦,٠٩٤) كانوا يتحدثون الفرنسية

- إن حوالي ١٥٪ (٦٣٩ من أصل ٦,٠٩٤) فقط كانوا يتحدثون الإنكليزية.

جدول رقم ١: اللغات المحكية والمقروءة والمكتوبة من قبل أرباب البيوت (ذكوراً) (وإناثاً) كما راجعها (١٩٥٤) Churchill[٦] وذكرها (١٩٦٢)[٧] Abou ص. ١٣٣-١٣٥

	عدد الذين يقرأون		عدد الذين يقرأون		عدد الذين يكتبون	
اللغة	ذكر	أنثى	ذكر	أنثى	ذكر	أنثى
العربية	١,٧٠٨	١,٤٤٩	١,٢١٥	٧٦٨	١,١٩٤	٧٣٨
الفرنسية	٨٠١	٥٠٩	٦٨٧	٥٨	٦٩٠	٤٦٢
الإنكليزية	٤١٩	٢٢٠	٣٤٨	١٩٢	٣٣٩	١٩٧
التركية	٢٨٤	١٤٩	١٢٢	٥٣	١٢٤	٤٨
الأرمنية	١٧٦	٥٠	١٤١	١٢٦	١٤٤	١٢٥
العبرية	٢١	٦	٧	٥	٨	٣٣
لغات عربية أخرى	١٥٠	٨٤	١٠٨	٦٥	١٠٦	٦٣
لغات شرقية أخرى	٣٦	١٥	١٤	٥	١٦	٦
لا أعرف	–	–	٨	–	٧	–
لغات أخرى	–	٦	١	٤	٢	٤
لا شيء	–	–	٣٤٦	٦١٤	٣٥١	٦٥٥
لا جواب	٧	٤	–	١٢	–	١٥
المجموع	٣,٦٠٢	٢,٤٩٢	٢,٩٩٢	٢,٣٠٣	٢,٩٨١	٢,٣٤٦

(٦) Churchill, C.: **The City of Beirut: A Socio-Economic Survey**. Beirut, [s. n.], 1954.

(٧) Abou, Sélim: **Le Bilinguisme arabe-français au Liban: Essai d'anthropologie culturelle**. Paris, Presses Universitaires de France, 1962.

ولكن منذ أواخر الستينات، أخذت ثلاثة عوامل بالتأثير على الوضع اللغوي في لبنان. أولا أحدث نزوح أعداد كبيرة من الفلسطينيين بعد الحرب العربية ـ الإسرائيلية عام ١٩٧٧ تغييرا في سكان لبنان القليلي العدد نسبياً. وقد أثر ذلك على أهمية اللغة الفرنسية في هذا البلد كون الفلسطينيين بغالبيتهم من المسلمين وكون اللغة الفرنسية مرتبطة تاريخيا بالمسيحيين.

ثانيا كان للحرب الأهلية (١٩٧٥ـ١٩٩١) عدة نتائج لا تزال تتضح حتى الآن. ومن الواضح أن احدى هذه النتائج هي تعميق الشعور الطائفي بين الأطراف التي خاضت الحرب. كذلك فقد ازدادت نسبة الهجرة خصوصاً بين الموارنة مما قد يكون قد أثر على وضع اللغة الفرنسية.

ثالثا بعد انتهاء الحرب أخذ لبنان يستعيد دوره تدريجاً على الصعيد العالمي. ومن المعروف أن اللغة الإنكليزية تبدو أنها لغة العصر نتيجة التقدم العلمي والإعلامي والتكنولوجي. وقد يكون ذلك قد ساهم بتعزيز اللغة الإنكليزية في لبنان.

أهمية الدراسة

حكمت لبنان بلدان عديدة تتكلم اللغات التركية والعربية والفرنسية ومن الممكن أن تكون هذه السيطرة الدولية واللغوية على لبنان، والتي دامت لسنوات طويلة، قد أثرت على اللحمة الوطنية اللبنانية. لذلك هناك حاجة لدراسة الهوية وعلاقاتها بالتوجهات اللغوية وذلك لكي نفهم بشكل أفضل الهوية الوطنية أو ربما الهويات المختلفة للمواطنين اللبنانيين. وبناء على نظريات رينان القائمة على مبدأ أن الأمة تعرف بالأشياء المشتركة بين مواطنيها، وبناء على نظريات غلنر القائمة على مبدأ أن الأمة هي كائن طبيعي تكتشف نفسها من خلال إعادة تعريف مواطنيها، نحن نعتقد أن هذه الدراسة ستساهم بإلقاء الضوء على بعض المسائل الأساسية المتعلقة بالهوية الوطنية في لبنان بناء على التوجهات اللغوية المفضلة للبنانيين.

الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى تعريف الهوية الاجتماعية والوطنية والمناطقية والدينية للمشاركين. لذلك، كان هدفنا الإجابة عن الأسئلة التالية:

١. ما مدى تأثير الدين واللغة الأجنبية الأولى على اعتبار المشاركين للغة الأهم في العالم؟

٢. ما مدى تأثير الدين واللغة الأجنبية الأولى على اعتبار المشاركين للغة الأجنبية الأهم بالنسبة للبنان؟

٣. ما مدى تأثير الدين واللغة الأجنبية الأولى على اعتبار المشاركين لأهمية اللغة الأجنبية في مجالات العمل والتربية؟

٤. ما مدى تأثير الدين واللغة الأجنبية الأولى على ميول المشاركين للقراءة؟

٥. هل يؤثر الدين واللغة الأجنبية الأولى على ربط المشاركين للدين بلغة معينة؟

٦. هل التحويل في النظام الرمزي Code Switching إلى الإنكليزية أو الفرنسيةعند التحدث بالعربية يدل على التكبر؟

المشاركون

ركز مجتمع الدراسة على الشباب البالغين. لذلك، اخترنا ثلاث جامعات في لبنان، الجامعة اللبنانية والجامعة اليسوعية والجامعة الأميركية، حيث كل جامعة تستخدم في الغالب إحدى اللغات الرئيسية ـ العربية، الإنكليزية والفرنسية كلغة تعليم. وقد تم اختيار خمسة صفوف عشوائيا من كل جامعة وطلب من طلاب هذه الصفوف المشاركة في الدراسة. وقد أجاب ٢٨١ طالبا على الاستجواب مقسمين إلى ٩٩ ذكرا و١٨٢ أنثى. وكان هناك ٥٥ مسلما و٣٨ مسيحيا من الذكور و ١٥١ مسلمة و ٧٢ مسيحية من الإناث. وهكذا بلغ عدد المشاركين ١٥٦ من الطلبة المسلمين و١١٥ من الطلبة المسيحيين و١٥ طالبا لم يذكروا دينهم كما يظهر في الجدول رقم٢.

جدول رقم ٢ : المشاركون في الدراسة بحسب الجنس والدين

	ذكر	انثى	المجموع
مسلم	٥٥	١٠١	١٥٦
مسيحي	٣٨	٧٢	١١٠
لا جواب	٦	٩	١٥
المجموع	٩٩	١٨٢	٢٨١

أداة البحث

للإجابة عن الأسئلة المطروحة في الدراسة تم استخدام استجواب مؤلف من ثلاثة أقسام مكتوب باللغتين العربية والإنكليزية وذلك لتمكين جميع المشتركين من الإجابة. هدف القسم الأول الى جمع معلومات ديموغرافية واحتوى على أسئلة تتعلق بالدين واللغات الأجنبية.

القسم الثاني عالج مواقف الطلاب بالنسبة لأهمية اللغات محليا وعالميا وتطرق الى الارتباط السيكولوجي بين اللغات والدين. لذلك فقد احتوى هذا القسم على أسئلة مثل:

- هل تربط بين اللغة الإنكليزية واللغة الفرنسية وبين دين معين؟

- هل تعتبر أن الشخص الذي يتحدث الإنكليزية أو الفرنسية أقل لبنانية من الذي لا يتحدث هذه اللغات؟

أما القسم الثالث من الاستجواب فقد ركز على تصنيف اللغات العربية والإنكليزية والفرنسية من حيث الأهمية في مجالات العمل والتربية والدين والهوية الوطنية والتكنولوجيا والترفيه.

تحليل المعلومات

لقد تم حساب التكرار والنسب المئوية لإجابات المشاركين ثم جدولتها بحسب

متغيرات الذين واللغة الأجنبية الإولى. وقد تم التركيز على هذين التغيرين لأنهما يشكلان العنصرين الأساسيين في تكوين الهوية الشخصية.

النتائج

تظهر إحدى نتائج هذه الدراسة الفرق الواسع بين النتائج التي تم التوصل إليها في عام ١٩٥٤ والمبينة في الجدول رقم ١ سابقاً وبين نتائج هذه الدراسة. ففي دراستنا أجاب ٩٢٪ من الذكور و ٩٥٪ من الإناث أنهم يتكلمون العربية و أجاب ٩١٪ من الذكور و ٨٩٪ من الإناث انهم يقرأون ويكتبون العربية. اما بالنسبة للإنكليزية فقد أجاب ٩٣٪ من الذكور و ٩٦٪ من الإناث أنهم يتكلمون ويقرأون ويكتبون الإنكليزية. أما النسبة للفرنسية فقد أجاب ٧٢٪ من الذكور و ٦٣٪ من الإناث أنهم يتكلمون الفرنسية، وأجاب ٦٩٪ من الذكور و٥٩٪ من الإناث أنهم يقرأون ويكتبون الفرنسية. ويبين الجدول رقم ٣ عدد الذين يتكلمون ويقرأون ويكتبون اللغات الثلاث.

تظهر الأرقام أعلاه أنه بينما كان حوالي نصف مجتمع دراسة عام ١٩٥٤ ثنائيي اللغة فإن دراستنا تبين أن جميع المشاركين تقريبا هم ثنائيو اللغة وأن نسبة عالية جدا منهم ثلاثيو اللغة. وتبين الدراسة أيضا أن اللغة الإنكليزية هي اللغة الأجنبية الأوسع انتشارا بين المشاركين وتأتي الفرنسية بعدها بنسبة ٢٥٪ أقل من الإنكليزية. كذلك يمكن ملاحظة فرق بين الجنسين حيث أن ٣٪ من الإناث يتحدثن بالإنكليزية أكثر من الذكور بينما ١٠٪ تقريبا من الإناث يتكلمن الفرنسية أكثر من الذكور. تظهر هذه الأرقام انعكاسا في خيار اللغة الأجنبية الذي كان سائدا منذ العام ١٩٥٤ حيث كان ٢١٪ يتكلمون الفرنسية و ١٠٪ الإنكليزية الى ٦٦٪ يتكلمون الفرنسية و ٩٥٪ يتكلمون الإنكليزية اليوم. وهنا يجب توخى الحذر من تحليل هذه النتائج حيث كان مجتمع دراسة ١٩٥٤ يتكون من البالغين (أرباب البيوت) بينما كان مجتمع الدراسة الحالية يتكون من الشباب البالغين (طلاب الجامعات).

وعند النظر الى اللغة الأجنبية الأولى للمشاركين من حيث الدين فقد تبين أن الإنكليزية كانت اللغة الأجنبية الأولى ل ٥٨٪ من المسلمين ولـ ٤٥٪ من المسيحيين (أنظر الجدول رقم٤).

جدول رقم ٣: اللغات المحكية والمقروءة والمكتوبة بين طلاب الجامعات في بيروت (١٩٩٩)

	عدد الذين يتكلمون		عدد الذين يقرأون ويكتبون	
اللغة	ذكر	انثى	ذكر	أنثى
العربية	٩٢	١٧٣	٩١	١٦٢
الفرنسية	٧٢	١١٦	٦٩	١٠٨
الإنكليزية	٩٣	١٧٧	٩٣	١٧

كذلك كان هناك درجة عالية من التوافق بين الدينين الرئيسيين على أن اللغة الإنكليزية هي اللغة الأهم في العالم كما هو مبين في الجدول رقم٥.

وبالنظر الى هذه النتائج من حيث الدين يتبين أن ٨٨٪ من المسلمين و٨٠٪ من المسيحيين قد اختاروا الإنكليزية كلغة عالمية وأن ٠,٠١٪ من المسلمين و ٠,٠١٪ من المسيحيين اختاروا الفرنسية.

كذلك كانت هذه النسب متوافقة مع النسب التي حصلنا عليها عند مقاربة مسألة أهمية اللغات على المستوى العالمي من وجهة نظر اللغة الأجنبية الأولى للمشاركين وفي هذا السياق أعتبر ٩٠٪ من الذين يتكلمون الإنكليزية و ٧٨٪ من الذين يتكلمون الفرنسية أن الإنكليزية هي اللغة العالمية الأولى بينما لم يعتبر أحد من الذين يتكلمون الإنكليزية كلغة أجنبية أولى و٤.٪ من الذين يتكلمون الفرنسية كلغة أجنبية أولى أن الفرنسية هي اللغة العالمية الأولى. كما هو سيبين في الجدول رقم ٦.

وهكذا يتبين أنه بغض النظر عن عاملي الدين واللغة الأجنبية الأولى فإن المشاركين اعتبروا أن الإنكليزية هي اللغة العالمية الأولى.

ولكن بالرغم من أن اللغة الإنكليزية اعتبرت اللغة العالمية الأولى، فإن النتائج اختلفت

جدول رقم ٤: اللغة الأجنبية الأولى للمشاركين بحسب الدين

اللغة الأجنبية الأولى	المسلمون		المسيحيون		المجموع	
اللغة	#	٪*	#	٪*	#	٪*
الإنكليزية	٩١	٪٣٨	٦٠	٪٥٤	١٥١	٪٥٣
الفرنسية	٥٩	٪٣٧	٤٣	٪٣٩	١٠٢	٪٣٦
الإنكليزية والفرنسية	٢	٪١	٣	٪٣	٥	٪٢
لغات أخرى	٤	٪٢	٤	٪٣	٨	٪٣
لا جواب	–	–	–	–	١٥	٪٥
المجموع	١٥٦		١١٠		٢٨١	

*تم تدوير الكسور الى الأرقام الصحيحة الأقرب

جدول رقم ٥: اعتبار اللغات عالمية بحسب الدين

لغة عالمية	المسلمون	المسيحيون	المجموع
العربية	٢	٢	٤
الإنكليزية	١٣٧	٨٩	٢٢٦
الفرنسية	٣	٢	٥
الإنكليزية والفرنسية	٨	١٣	٢١
العربية والفرنسية	٢	١	٣
العربية والإنكليزية والفرنسية	٣	٣	٦
لا جواب	–	–	١٦
المجموع			٢٨١

جدول رقم٦ : اللغة العالمية بحسب اللغة الأجنبية الأولى للمشاركين

اللغة	الإنكليزية	الفرنسية	لغة أخرى	الإنكليزية والفرنسية	المجموع
العربية	٢	٢	–	–	٤
الإنكليزية	١٤٣	٨٦	٩	٣	٢٤١
الفرنسية	–	٥	–	–	٥
الإنكليزية والفرنسية	٦	١٣	–	٢	٢
العربية والفرنسية	٣	–	–	–	–
العربية والانكليزية والفرنسية	٤	٣	–	–	–
المجموع	١٥٨	١٠٩	٩	٥	٥

قليلا عند السؤال أي لغة أجنبية أهم بالنسبة الى لبنان حاليا. وفي هذا السياق كانت النتائج متطابقة عند المشاركين بحسب عاملي اللغة الأجنبية الأولى والدين كما هو مبين في الجدول رقم٧ والجدول رقم٨.

يتضح في الجدول أدناه أن ٤٩٪ من المسلمين اعتبروا أن اللغة الإنكليزية هي اللغة

جدول رقم٧: اللغة الأجنبية الأهم بالنسبة إلى لبنان بحسب اللغة الأجنبية الأولى للمشاركين

اللغة الأجنبية الأولى	الإنكليزية هي الأهم		الفرنسية هي الأهم		الإنكليزية والفرنسية هما الأهم		المجموع
الإنكليزية	٧٧	٤٩٪	١٣	٨٪	٦١	٣٩٪	١٥٦
الفرنسية	٣٣	٣٠٪	١٢	١٠٪	٦٢	٥٦٪	١١٠
لغة أخرى	٥	٥٥٪	–	–	٤	٤٥٪	٩
الإنكليزية والفرنسية	٢	٤٠٪	٢	–	٣	٦٠٪	٥
المجموع	١١٧	٤١٪	٢٥	٨,٩٪	١٣٠	٤٦,٦٪	

جدول رقم ٨: اللغة الأجنبية الأهم بحسب الدين

الدين	الإنكليزية	الفرنسية	الإنكليزية والفرنسية	لا الإنكليزية ولا الفرنسية	المجموع
مسلم	٧٧	١٤	٥٨	٦	١٥٥
مسيحي	٣٧	١٠	٦١	٢	١١٠
لا جواب	–	–	–	–	١٦
المجموع					٢٨١

الأهم في العالم بينما اعتبر ٣٣٪ من المسيحيين أن الفرنسية هي الأهم. والجدير بالملاحظة أيضا أن نسبة الذين اعتبروا الإنكليزية والفرنسية كلغتين عالميتين مهمتين قد بلغت ٣٧٪ بين المسلمين و ٥٥٪ بين المسيحيين. وبالنسبة لأهمية الفرنسية بالنسبة للبنان فقد اعتبر ٤٠٪ من المسلمين و٣٠٪ من المسيحيين أنها اللغة الأهم. وهكذا يتضح الفرق بين نتائج هذه الدراسة ودراسة Abou[٨] بالنسبة لمجمل النسبة المئوية لعدد المسلمين والمسيحيين الذين اعتبروا إحدى اللغتين أو كلتيهما معا أنها الأهم في العالم كما هو مبين في الجدول رقم٩.

إن الفرق بين النسب المئوية الواردة أدناه يظهر هبوطا يكاد يكون متوازنا بالنسبة لأهمية اللغتين الإنكليزية والفرنسية بالنسبة للبنان كما يراها المشاركون في الدراسة.

جدول رقم ٩: مقارنة بين نتائج الدراسات حول أهمية اللغة الأجنبية

	الإنكليزية	الفرنسية	الإنكليزية والفرنسية
Abou et al, 1962.	٦١,٥٪	٣١,٨٪	٣٠١٪
هذه الدراسة	٤٠,٠٪	٩٠١٪	٤٤,٩٪

(٨) Abou, Kasparian and Haddad: 1996, op. cit.

ولكن المثير للإهتمام هو أن نتائج هذه الدراسة تظهر أن ٤٤,٩٪ من المشاركين اعتبروا أن الإنكليزية والفرنسية معا مهمتان بالنسبة للبنان كلغات أجنبية.

أما بالنسبة للخصائص الديموغرافية للمشاركين الذين اعتبروا اللغة الإنكليزية هي الأهم بالنسبة للبنان والذين بلغ عددهم ١١٤ وقد كانت النتائج على الشكل المبين في الجدول رقم ١٠.

يظهر الجدول أن ٦٠٪ من المسلمين الأنكلوفونيين و ٣٦٪ من المسيحيين الأنكلوفونيين قد اعتبروا الإنكليزية اللغة الأهم بالنسبة للبنان. كذلك يظهر الجدول أن ٣٢٪ من المسلمين الفرنكوفونيين و٢٧٪ من المسلمين الفرنكوفونيين اعتبروا الإنكليزية اللغة الأهم للبنان.

جدول رقم ١٠: توزيع المشاركين الذين اعتبروا الإنكليزية اللغة الأهم بالنسبة للبنان بحسب متغيرات الدين واللغة الأجنبية الأولى

الدين	الإنكليزية	الفرنسية	الإنكليزية والفرنسية	لغات أخرى	المجموع
مسلم	٥٥	١٩	١	٢	٧٧
مسيحي	٢٢	١٢	١	٢	٣٧
المجموع	٧٧	٣١	٢	٤	١١٤

أما بالنسبة للذين اعتبروا الفرنسية اللغة الأهم بالنسبة للبنان فقد كانت خصائصهم الديموغرافية على الشكل المبين في الجدول رقم ١١.

إن المشاركين (٢٤) الذين اختاروا اللغة الفرنسية اللغة الأهم بالنسبة للبنان يمثلون ٨٠٪ من المسلمين الأنكلوفونيين و ١٠٪ من المسلمين الفرنكوفونيين. كذلك هم يشكلون ٦٠٪ من المسيحيين الأنكلوفونيين و ١,٣٪ من المسيحيين الفرنكوفونيين أما

المشاركون الذين أختاروا الإنكليزية والفرنسية فقد بلغ عددهم ١١٩ وكانت لغتهم الأجنبية ودينهم كما هو مبين في الجدول رقم ١٢.

جدول رقم ١١: توزيع المشاركين الذين اعتبروا اللغة الفرنسية اللغة الأهم للبنان بحسب متغيرات الدين واللغة الأجنبية الأولى

الدين	الإنكليزية	الفرنسية	الإنكليزية والفرنسية	لغات أخرى	المجموع
مسلم	٨	٦	٠	٠	١٤
مسيحي	٤	٦	٠	٠	١٥
المجموع	١٢	١٢	٦	٠	٢٤

يظهر الجدول تطابق الآراء بين المشاركين بغض النظر عن اللغة الأجنبية الأولى والدين.

من جهة أخرى، فبالإضافة للعربية يوجد عدة جرائد باللغة الأجنبية في لبنان كذلك يوجد جرائد محلية منشورة بالفرنسية والإنكليزية. ولقد وجدنا عند سؤالنا أي جرائد

جدول رقم ١٢: جدول توزيع المشاركين الذين اعتبروا اللغتين الإنكليزية والفرنسية مهمتين بالنسبة للبنان بحسب متغير اللغة الأجنبية الأولى والدين

الدين	الإنكليزية	الفرنسية	الإنكليزية والفرنسية	لغات أخرى
مسلم	٢٣	٣٢	١	٢
مسيحي	٣٣	٢٤	٢	٢
المجموع	٥٦	٥٦	٣	٤

يفضل الطلاب أن المسلمين والمسيحيين يفضلون الجرائد المنشورة باللغة الإنكليزية على السواء كما هو مبين في الجدول رقم ١٣.

جدول رقم ١٣: قراءة الجرائد الأجنبية بحسب عامل الدين

	جرائد إنكليزية		جرائد فرنسية	
	يقرا	لا يقرأ	يقرأ	لا يقرأ
مسلم	٩٧	٥٩	٢١	١٣٥
مسيحي	٧٦	٣٤	٣٣	٧٧
المجموع	١٧٣	٩٣	٥٤	٢١٢

تدل الأرقام الواردة أعلاه أن ٩٧ (٦٢٪) مسلما و ٧٦ (٦٩٪) مسيحياً من المشاركين يقرأون الجرائد باللغة الإنكليزية . كذلك فإن ٧٧ (٧٠٪) من المشاركين المسيحيين لا يقرأون الجرائد الفرنسية بينما كان هذا العدد ١٣٥ (٨٦٪) بين المشاركين المسلمين.

أما بالنسبة للمجلات الأجنبية فقد أظهرت النتائج أن المجلات الإنكليزية هي المفضلة من قبل المشاركين المسلمين والمسيحيين على السواء كما هو مبين في الجدول رقم ١٤.

جدول رقم ١٤: قراءة الجرائد الأجنبية بحسب عامل الدين

	مجلات إنكليزية		مجلات فرنسية	
	يقرا	لا يقرأ	يقرأ	لا يقرأ
مسلم	١٢٩	٢٦	٤٤	١١٢
مسيحي	٩٦	١٤	٥٠	٦٠
المجموع	٢٢٥	٤٠	٩٤	١٧٢

تبين النتائج أوجه الشبه بين قراءة المشاركين للمجلات الأجنبية وقراءاتهم للجرائد الأجنبية كذلك تبين النتائج أن ١٢٩ (٨٢٪) من المسلمين يقرأون المجلات الإنكليزية وان ٤٤ (٢٨٪) منهم يقرأون المجلات الفرنسية. بينما يقرأ ٩٦ (٨٧٪) من المسيحيين المجلات الإنكليزية ويقرأ ٥٠ (٤٥٪) المجلات الفرنسية. وهذا يدل على اهتمام المسيحيين بالمجلات الإنكليزية.

أما بالنسبة لتأثير اللغة الأجنبية الأولى على خيارات المشاركين في قراءة الجرائد والمجلات الأجنبية فقد وجدنا أن ٧٥٪ من الذين درسوا الإنكليزية كلغة أجنبية أولى و٥٤٪ من الذين درسوا الفرنسية كلغة أجنبية أولى قد أفادوا أنهم يقرأون الجرائد الإنكليزية . أما بالنسبة للجرائد الفرنسية فقد أفاد ٠٧٪ فقط من الذين درسوا الإنكليزية كلغة أجنبية و ٤٢٪ من الذين درسوا الفرنسية أنهم يقرؤون الجرائد الفرنسية.

كذلك فقد وجدنا أن ٩٦٪ من الذين درسوا الإنكليزية كلغة أجنبية أولى يقرأون المجلات الإنكليزية وأن ٨٪ من الذين درسوا الفرنسية كلغة أجنبية أولى يقرأونها أيضا. بينما كانت نسبة الذين يقرأون المجلات الفرنسية متدنية نسبيا حيث بلغت ٠٧٪ بين الذين درسوا الإنكليزية و ٢٦٪ بين الذين درسوا الفرنسية كلغة أجنبية أولى.

وعند السؤال إذا كان المشاركون يربطون بين اللغات الأجنبية والدين فقد تبين لنا ارتباط اللغة الإنجليزية بالدين على النحو التالي:

- اعتبر ٧٠٪ من المسلمين أن الإنكليزية غير مرتبطة بأي دين.
- اعتبر ٧٨٪ من المسيحيين أن الإنكليزية غير مرتبطة بأي دين.
- اعتبر ٤٦٪ من المشاركين المسلمين أن الفرنسية مرتبطة بالدين المسيحي.
- اعتبر ٤٠٪ من المسيحيين أن الفرنسية مرتبطة بالدين المسيحي.

أما بالنسبة لمسألة التغيير الرمزي Code switching وإذا كان يدل على التكبر، فقد اعتبر أكثرية المشاركين أن ذلك غير صحيح كما هو مبين في الجدول رقم ١٥.

جدول رقم ١٥: توزيع المشاركين الذين اعتبروا التغيير الرمزي دليلا على التكبر عند التحدث باللغة العربية وتغيير الرمز إلى اللغات الأجنبية

	الإنكليزية	الفرنسية	الإنكليزية والفرنسية	لا جواب
يدل على التكبر	٦	١٦	٤٥	
لا يدل على التكبر	٢٦٨	٢٥٨	٢٠٧	
				٧

يبين الجدول أن ٢٠٪ اعتبروا تغيير الرمز إلى الإنكليزية عند التحدث بالعربية يدل على التكبر بينما اعتبر ٥٠٪ أن تغيير الرمز إلى الفرنسية يدل على التكبر. كذلك اعتبر ١٧٪ أن تغيير الرمز إلى الإنكليزية والفرنسية في آن معا عند التحدث بالعربية يدل على التكبر.

وأخيرا لدى سؤال المشاركين عن أهمية اللغات العربية والفرنسية والإنكليزية من النواحي الاقتصادية والتعليمية و الثقافية والدينية، اعتبر المشاركون أن الإنكليزية هي الأهم في الاقتصاد والتعليم. بينما احتلت الفرنسية المرتبة الأولى بفارق بسيط مع الإنكليزية من حيث الأهمية الحضارية واحتلت العربية المرتبة الأولى بين اللغات الثلاث من حيث الأهمية الدينية.

مناقشة النتائج

يجب الإقرار أنه لا يجوز تعميم نتائج هذه الدراسة على كل لبنان لأنها اقتصرت على الشباب المثقف من منطقة بيروت الكبرى. ولكن يمكن القول أن نتائج الدراسة حددت بعض الاستنتاجات التي تجدر دراستها مستقبلا.

الاستنتاج الأول هو أن مجتمع الدراسة يشير إلى أن الشباب المثقف في لبنان ثلاثي اللغة أكثر مما هو ثنائيها. فبالرغم من أن الغالبية العظمى من المدارس الثانوية تستعمل الفرنسية كلغة تدريس فإن اللغة الإنكليزية منتشرة بين طلاب هذه المدارس. من جهة أخرى، أشارت نتائج الدراسة إلى توافق بين المسلمين المسيحيين كذلك بين الأنكلوفونيين والفرنكوفونيين على أهمية اللغة الإنكليزية عالميا. كذلك أشارت نتائج الدراسة إلى توافق مشابه بالنسبة لأهمية الإنكليزية بالنسبة للبنان رغم الفرق بين نظرة المسيحيين المميزة لأهمية اللغة الفرنسية. وهذا يدل على استعداد المجتمع اللبناني لتقبل أكثر من لغة أجنبية واحدة رغم أن هذا الاتجاه نحو التعددية اللغوية لم ينعكس في اعتبار مستوى اللغات على الصعيد العالمي حيث اعتبر ٢١ فقط من أصل ٢٨١ مشارك في الدراسة أن هناك ضرورة لتعلم اللغتين الإنكليزية والفرنسية معاً. وهذا يدل على خصوصية المجتمع اللبناني المنفتح على اكتساب اللغات الأجنبية بغض النظر عن اعتبار الأهمية العالمُية لهذه اللغات.

كذلك فإن الاتجاه الذي ذكره Abou [٨] أن انتشار اللغة الإنكليزية يتوسع في لبنان قد تعزز في نتائج هذه الدراسة. وفي هذا السياق فإن تقبل مجتمع هذه الدراسة لظاهرة التغيير الرمزي يدل على تقبل الشباب المثقف لظاهرة التعددية اللغوية.

أما بالنسبة لخيارات وسائل الإعلام، فإن نتائج الدراسة قد عكست آراء الطلاب بالنسبة لأهمية اللغات الأجنبية في لبنان. وهكذا كانت الجرائد والمجلات الصادرة باللغة الإنكليزية هي المفضلة بين جميع فئات الطلاب بغض النظر عن دينهم ولغتهم الأجنبية الأولى. كذلك كانت المجلات الفرنسية أكثر تقبلا بين الطلاب المسيحيين والفرنكوفونيين.

من جهة أخرى، رغم أن نسبة عالية من المشاركين في الدراسة من –المسلمين والمسيحيين على حد سواء– لم يربطوا الدين بأي من اللغات، فإن حوالي نصف المشاركين ربطوا اللغة الفرنسية تحديدا بالدين المسيحي.

(٨) Abou: 1962, op. cit.

وأخيرا يمكن تفسير النتائج المتعلقة بالموقع المميز للغة الإنكليزية من حيث الأهمية محليا وعالميا كونها معتبرة حاجة ماسة في مجالات العمل والتربية والحضارة. كذلك يمكن تفسير اهتمام الطلاب اللبنانيين باكتساب اللغات الأجنبية نتيجة تعاقب شعوب مختلفة على حكم هذا البلد خلال تاريخه القديم والحديث.

المراجع الأجنبية

-Abou, Sélim: **Le Bilinguisme arabe-français au Liban: Essai d'anthropologie culturelle**, Paris, Presses Universitaires de France, 1962.

-Abou, Sélim, Choghig Kasparian and Katia Haddad: **Anatomie de la francophonie libanaise,** Beyrouth, Université St. Joseph, 1996.

-Anderson, Benedict: **Imagined Communities: Reflections on the Origin and Spread of Nationalism,** Rev. ed., London ; New York, Verso, 1991.

-Churchill, C. : **The City of Beirut: A Socio-Economic Survey,** Beirut, [s.n.], 1954.

-Clifford, James: **The Predicament of Culture: Twentieth-Century Ethnography, Literature, and Art,** Cambridge, Mass, Harvard Univ. Press, 1988

-Gellner, Ernest: **Thought and Change,** London, Weidenfield and Nicolson, 1964.

-Renan, Ernest: "Qu'est-ce qu'une nation?", dans: **œuvres complètes**, éd. par Henriette Psichari, Vol. 1, Paris, Calmann - Lévy, 1947, 887 - 906.